مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية و الاجتماعية	المجلد:5/ العدد 1 (2021)....ص 4- 15

الأبعاد الرمزية للدلفين في المغرب القديم

The Dolphins' Symbolical Dimensions in the Ancient Maghreb

د/ سليم سعيدي*
جامعة 8 ماي 1945- قالمة
salimsaidi215@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/12 تاريخ القبول: 2021/01/29 تاريخ النشر:2021/04/30

ملخص:

تتناول هذه الدراسة أهم الدلالات الرمزية التي يحملها الدلفين في المغرب القديم من الناحيتين الدينية والجنائزية، لدى البونيين والأفارقة (النوميديون، الموريون)، والتطرّق لأصولها الخارجية سواء القادمة من الشرق أي من مصر الفرعونية وفينيقيا أو القادمة من الغرب أي من اليونان وإيطاليا، كما نحاول معرفة أهم الحيوانات الخرافية والآلهة التي ارتبط بها هذا الحيوان البحري، والتي جعلت منه رمزا للثروة والخلود والخصوبة والحامي للبيوت والقبور من دخول الأرواح الشريرة، كما جعلت منه مطية لتنقل أرواح الموتى للوصول إلى العالم الآخر بسلام وتحقيق السعادة الأبدية لهم.

كلمات مفتاحية:

الدلفين؛ الرمزية؛ الأفارقة؛ البونيون؛ المغرب القديم.

Abstract:

This study is dealing with the most symbolical significances of the Dolphin in Ancient Maghreb from both sides the religious and the funeral ones for the Punic people and the Africans (the Numidians, the Moors) and broaching with its external origins; either coming from the East from the Pharaonic Egypt and Phenicia or coming from the West from Greece and Italy. Also we tried to know the important mythical animals and deities to what was associated this maritime animal, which made it a symbol of wealth, the immortality, the fertility, the saver of homes and the tombs from devil spirits and made it a ride to move the dead souls to peacefully achieve the after world and reaching their eternal joy.

Keywords:

Dolphin, symbolism, Africans, Puniсs, Ancient Maghreb

- **المؤلف المرسل: د/ سليم سعيدي**

مقدمة

أحبّ الإنسان البحر والأنهار وتفاعل معها منذ عصور ما قبل التاريخ، على الرغم من الرّهبة التي أحدثها الأول بفعل أمواجه المتلاطمة والثانية بفيضاناتها المدمّرة، ومع هذا فقد رأى فيهما مصدر رزق وخير ووسيلة للتنقّل والسفر، من هنا حاول تفهّم غضبهما من وحي تجاربه الكثيرة بوسائل وتقنيات بسيطة تطوّرت بمرور العصور، وبأفكار خرافية كالاعتقاد بوجود آلهة خلقها خصّيصا لعالم المياه، وهذا ما تشير إليه العديد من معتقدات العالم القديم، ومن أهم هذه الحيوانات كان الدلفين. فما هي أهم الدلالات التي كان يرمز لها هذا الحيوان البحري؟ وما هي أهم الآلهة التي ارتبط بها؟ وهل كانت أصولها محلية أم خارجية؟

يُعدّ الدلفين أكثر الحيوانات البحرية شهرة وحضورا في عالم الميثولوجيا قديما، فقد لفت انتباه الشعراء والمؤرّخين القدامى الذين أسهبوا في وصفه وأبدوا إعجابهم بذكائه ولطفه، وكثيرا ما ربطوه بالآلهة والأبطال الأسطوريين، إذ يذكر بلين الكبير (Pline l'Ancien)[1] أنّ الدلفين أسرع الحيوانات البحرية وأغربها، فبإمكانه اصطياد أيّ سمكة مهما بلغت سرعتها لاسيما إذا كان مدفوعا بعامل الجوع، وينزل إلى أعماق البحر لاصطياد فرائسه، ومن مميزاته أنّ له لسان قصير وعريض ومتحرّك، ويعيش ما يقارب الثلاثين سنة، ومن مميزاته أيضا أنّه يُحبّ الاقتراب من البحّارة والسبّاحين أمام سفنهم حيث يلعب ويقفز أمامهم كأنّه ينافسهم في السباحة.

وتزخر الميثولوجيا الإغريقية والرومانية بالكثير من القصص الأسطورية التي لعب فيها الدلفين دورا مهما، منها أسطورة تأسيس مدينة دلفي (Delphis) الإغريقية، المشتقّة من اسم دلفين، وذلك لأنّ هذا الأخير أنقذ الإله أبولون وابنه من الغرق وأوصلهما إلى جبل بارناسوس (وسط اليونان)، وبهذه المناسبة شُيّد بها معبدا تخليدا لتلك الحادثة، وصار قبلة ومحجّا لكافة القبائل الإغريقية مهما كان موطنهم،[2] ولا نستبعد أن يكون هذا السبب هو الذي دفعهم أن يتّخذوا الدلفين كأحد رموز الإله أبولون لحماية البحارة والمسافرين بحرا[3]، لأنّ الحيوان كان رمزا للملاحة الآمنة التي ينشدها البحارة والمسافرون لدى الشعوب

[1] Pline l'Ancien, histoire naturelle, éditions et choix d'Hubert Zehnacker, collection folio classique, Gallimard, paris, 1999, VIII, 20-24-26.

[2] قنينبة زهراء، (2009)، الماء من خلال مصادر المغرب القديم الأثرية، مجلة البادية المغربية، عدد3، السنة الثالثة، الرباط. ص33.

[3] سيرنج فيليب، (1992)، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة:عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق. ص214.

المتوسطية.[4]

ويُلاحظ أنّ القدامى كثيرا ما أوردوا قصصا خارقة تشير لطبيعة الدلفين المسالمة وإلى علاقات صداقة يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

جمعت بينه وبين البشر، على الرغم من أنّها أقرب للخيال منها للواقع، وفي هذا المجال نذكر قصة الشاعر أريون (Arion)[5] الذي كان يعيش في مدينة ليبسوس الإغريقية خلال القرن السادس قبل الميلاد وكان يجذب بأنغام مزماره الدلافين المتعطّشة للموسيقى، وذات يوم قام دلفين بتهريبه من أعدائه[6]. كما يذكر بلين الكبير (Pline l'Ancien)[7] أيضا قصّة أسطورية تتمثّل في أنّ بعض البحّارة الرومان أطعموا دلافين بأيديهم قرب مدينة دياريتوس (مدينة بنزرت حاليا) بتونس وتحمّلت مداعبتهم لها، بل ولعبت معهم وحملتهم على ظهرها.

2.الدلالات الدينية للدلفين:

يُعتبر الدلفين في العالم البوني أحد المواضيع المفضّلة لدى الفنانين القرطاجيين، حيث صُوّر على الكثير من الأنصاب النذرية والجنائزية، وعلى بعض الأواني الفخارية والعاجية وعلى شفرات الحلاقة والجعارين والقطع النقدية في الكثير من المدن البونية مثل قرطاج وحدرموت وكركوان وتمودا[8]. ومن أجمل تلك الصور صورة لدلفين منقوشة فوق باب أحد منازل كركوان (قرب مدينة قليبية حاليا) بالقرب من أحد أهراء الغلال كرمز للربة تانيت، وهذا لحماية هذا المنزل من كل مكروه أو أذى[9]. ونلاحظ أن نقش صورة هذا الحيوان فوق أبواب المنازل مازالت موجودة لحد الآن في بعض المناطق المغاربية خاصة في

---

[4]Fantar (M-H.), (1969 - 1970), la mer dans la mythologie et l'iconographie des phéniciens-puniques, Tomes III et IV, institut national d'archéologie et d'art, Tunis. p66.

[5] أريون هو شاعر ومغني إغريقي عاش في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وكان أكثر موسيقيي عصره شهرة، ولد في جزيرة ليبسوس ولكنه قضى معظم حياته في بلاط حاكم كورنيثة ، ولما كان مسافرا الى بلده من إيطاليا حاول طاقم السفينة التى كان مسافرا على متنها التخلص منه والاستيلاء على أمواله، فألقى بنفسه في البحر فأنقذه دلفينا وعاد لوطنه، للمزيد انظر: جيني مارك، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، ج1، ط1، ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص ص116-117.

[6] سيرنج فيليب، المرجع السابق، ص214.

[7] Pline l'Ancien, op.cit., VIII, 26-27.

[8] Redissi (T.), (1990), les amulettes de Carthage représentant les divinités léontocéphales et lions, REPPAL, 5, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, p135-136.

[9] Enaifer (M.), (1973), la civilisation tunisienne à travers la mosaïque, Société tunisienne de diffusion, Tunis, p15.

تونس، ولا نستبعد أن تعود جذور هذه العادات للعصور القديمة.

وجاء في رحلة الجغرافي الإغريقي سيلاكس[10] أنّ المعبد الذي شيّده البحار حنون في رأس سيلوئيس بطنجة المغربية خلال القرن الخامس قبل الميلاد يحمل زخرفة لدلافين لا تخلو من دلالات دينية، لكنه لم يحدد مغزاها[11]. وعلى الرغم من الحضور الكبير لهذا الحيوان في المعتقدات البونية إلّا أنّه دخيل عليهم، إذ يرى الفرجاوي[12] أنّ صورة الدلفين على الأنصاب البونية مُقتبسة من المعتقدات الإغريقية، على غرار الكثير من العبادات والمظاهر الحضارية.

كما برزت صورة الدلفين على بعض عملات الملك الموريطاني يوبا الثاني (25 ق.م-23م) في السنوات الأخيرة من حكمه، إذ نرى على أحد عملاته دلفينا يحمل إكليلا وبجانبه شوكة ثلاثية (trident)، ويبدو أنّ عملات هذا الملك هي العملات المحلية الوحيدة التي برزت عليها صورة الدلفين، لا سيما ونحن نعلم أن هذا الملك كان متشبعا بالثقافتين الإغريقية واللاتينية **(انظر الشكل1)**[13]. ومن جهة أخرى كان هذا الحوت محلّ اهتمام الفسيفسائيين في منطقة المغرب القديم خلال العصر الروماني، حيث نجده ممثّلا على أغلب مشاهد الفسيفساء البحرية، فأحيانا يُصوّر وهو يسبح منفردا وأحيانا يكون مُمتطيا من طرف مخلوقات خرافية[14]، ومن أهم هذه اللوحات نذكر فسيفساء علي بن عون (بوسط غرب تونس) التي تُصوّر حورية بحر[15] وهي تمتطي دلفينا، ورُسمت بشكل طويل وتحمل في يدها اليمنى أحد زعانف الدلفين، أمّا

---

[10] رحلة سيلاكس (Scylax) هو ملّاح وجغرافي يوناني عاش خلال القرن السادس قبل الميلاد، وهو من بين الذين اكتشفوا سواحل البحر الأحمر بتكليف من الملك داريوس الأول (521-486 ق.م)، أمّا الرحلة البحرية التي تُعرف باسم رحلة سيلاكس فهي منتحلة وتعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد وهي رحلة تخص البحر الأبيض المتوسط، انظر: فنطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص336.

[11] Fantar (M-H.), (1969 – 1970), la mer dans la mythologie et l'iconographie des phéniciens-puniques, Tomes III et IV, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, p64.

[12] Ferjaoui (A.), (1988), les stèles puniques de Constantine, REPPAL, IV, p290.

[13] Alexandropoulos (J.), (2007), Les Monnaies de l'Afrique antique (400 av. J.-C.-40 ap. J.-C.), Toulouse, Presses Universitaires du Mirail, pp226-416.

[14] Fantar (M-H.), op.cit, p64.

[15] **حوريات البحر**(Néréides) هن معبودات بحرية وبنات الإله **نيري** (Nérée) والربة **دوريس** (Doris)، يسكن أعماق البحار وفي قصور مضيئة، ويقمن بتسلية أباهن بالغناء والرقص، لكن كل واحدة منهن تتجسّد في شكل خاص وتظهرن دائما كمخلوقات جميلة في نصف امرأة ونصف سمكة، تلعبن بأمواج البحر وتمتطين التريتونات أو أحصنة البحر، ونسب لهن الإغريق عدة أساطير، ومن أشهرهن: **امفتريت** (Amphitrite) زوجة **بوزيدون** (Poséidon) إله البحر عند الإغريق، **وتيتيس** (Thétis) زوجة **بيليه** (Pélée) وأم البطل **أخيل** (Achille)، للمزيد انظر:

Schmidt (J.), (2001), Larousse, Dictionnaire de la Mythologie grecque et romaine, éditions France Loisirs, Paris, p135.

يدها اليسرى فتحمل سمكة **(انظر الشكل2)**[16]. وتصوّر فسيفساء مدينة تبسة آلهة حب مُجنّحة (Amours)[17] وهي تمتطي دلفينا[18]، ولا شك في أنّ أصول هذه المشاهد والمعتقدات قد وفدت لمنطقة المغرب القديم منذ العصر القرطاجي لكنها ازدهرت أكثر مع الاحتلال الروماني للمنطقة.

كما برز الدلفين على الأنصاب البونية والبونية الحديثة على غرار الأنصاب الفينيقية حيث يرمز للمياه العليا مصدر المطر وبالتالي مصدر الإنبات، ومن هنا كان للدلفين دلالة مزدوجة: تخصيبيّة وسماوية، خاصة ونحنّ نعلم أنّ منطقة الشرق الأدنى والمغرب القديم مناطق ذات مناخ جاف تحتاج للأمطار، ولهذا كانت الدلافين إحدى رموز ربتي الخصوبة عشتارت وتانيت لدى القرطاجيين[19].

الشكل (1): صورة لدلفين على عملة يوبا الثاني
Alexandropoulos (J.), op.ccit, p516.

الشكل (2) حورية بحر تمتطي دلفينا
Bejaoui (F.), op.cit, p46.

[16] Bejaoui (F.), (1997), Les néréides sur une mosaïque tardive de la région de Sidi Ali Ben Aoun, Africa XV, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, P46.

[17] **آلهة الحب** (Amours) هي مخلوقات خرافية بحرية في الأساطير الرومانية و يعرف بالأساطير الإغريقية باسم **إيرو**، يصورون كمرافقين اعتياديين للربة فينوس (Venus) ويمارسون الموسيقى ويرمزون للفصول، كما يصورون في وضعيات مختلفة كحاصدين للحبوب أو قاطفين العنب، للمزيد انظر:

Schmidt (J.), op.cit. p13.

[18] Ferdi (S.), Mosaïques des eaux en Algérie, Régie sud Méditerranée, Alger, S.D, p111.

[19] Leglay (M.), (1966), Saturne africain, tome I, Boccard, Paris, p213.

وقد جعل الفن الإيكونوغرافي من الدّلفين بعد انتشار المسيحية رمز المنقذ إمّا لوحده أو ملتفّا بالمرساة[20] البحرية، حيث يرمز للسيد المسيح على الصليب، كما تشير إلى ذلك فسيفساء مسيحية بمدينة سوسة التونسية(**انظر الشكل3**)[21].

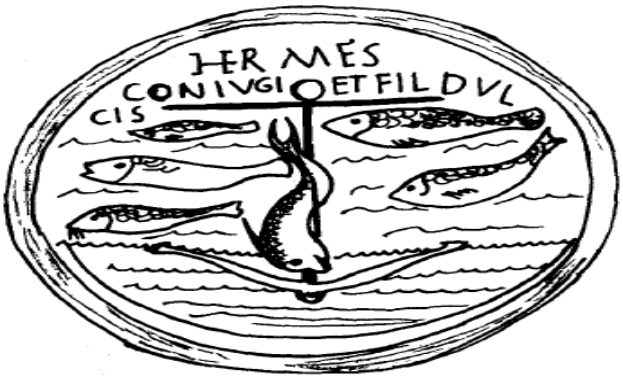

الشكل (3) دلفين يلتف بمرساة بحرية كرمز للصليب (فسيفساء سوسة)

سيرنج فيليب، المرجع السابق، ص 216.

3.الرمزية الجنائزية والآخروية للدلفين:

اعتقدت الشعوب الشرقية والمتوسطية القديمة بوجود فضاء بحري يتمثّل في نهر أو محيط يتواجد في أعماق الأرض أو في السماء، ويفصل عالم الأحياء عن عالم الأموات، وحتى تؤول أرواح الموتى إلى العالم السفلي يجب أن تعبُر هذا الفضاء البحري عبر بعض الوسائل كالقارب أو على متن بعض المخلوقات الخرافية نذكر منها: القنطورات (Centure)[22] وحصان البحر، أو على متن الحيوانات البحرية كالدلافين والأسماك، فكانت هذه الحيوانات بنوعيها (الحيوانات والكائنات الخرافية) هي الوسيلة الرئيسية التي ترمز للوسط البحري، كما كانت في الوقت نفسه بمثابة دليل يرشد أرواح الموتى في عالمهم الجديد[23].

---

[20] المرساة (l'Ancre) يرمز للصلابة والشدة وكذلك للطمأنينة، كما يرمز إلى الأمل وإلى التقابل بين الأرض والماء وبين الجامد والسائل، فالغاية المرجوّة أن يتأتّى عن لقاء الأرض بالماء ميلاد جديد وعطاء مطرد. للمزيد انظر:

- Ayoub (A.), signes symboles en Tunisie, Agence de mise en valeur du patrimoine et de promotion culturelle, Tunis, 2003, p13.

[21] سيرنج فيليب، المرجع السابق، ص 215-216.

[22] **القنطورات** هي كائنات بحرية خرافية نصفها العلوي بشر نصفها السفلي حيوان غالبا ما يكون حصانا، تعيش كالوحوش في غابات تساليا المشهورة بخيولها، لها طباع قاسية وحب مفرط لشرب الخمر والنساء، تتسلّح بجذوع الأشجار وبالجمر الملتهب، كثيرا ما تبرز في الأساطير في موكب الآلهة البحرية وبجانب حصان البحر وغيره من الحيوانات البحرية الخرافية أو الحقيقية، وهي إحدى التأثيرات الإغريقية التي تبناها البونيون. للمزيد انظر: Schmidt- (J.), op.cit, p40.

[23] Zeghal Yazidi (S.), (2005-2006), le bestiaire dans l'imaginaire des puniques, Thèse de Doctorat, volume 2, université de Tunis, p429-430 ; Picard (G-Ch.), (1954), les religions de l'Afrique Antique, libraire Plon, Paris, p92.

وقد تبنّى البونيون هذه الرمزيات من أسلافهم الفينيقيين ومن مصر الفرعونية، وخاصة من بلاد الإغريق، ولهذا تتزيّن عدّة لُقى مادية بهذه الحيوانات ومنها الدلفين، حيث عُثر عليها ضمن سياق جنائزي، كالتماثيل والمعظمات والجعارين والحلي وشفرات الحلاقة[24]، وأُستخرج أغلبها من داخل القبور أو هي منقوشة على واجهات التوابيت، فهذه المواضيع الحيوانية تعكس المعتقدات الأخروية والجنائزية للبونيين[25].

وتذكر بعض المصادر القديمة[26] أنّ الدلافين حيوانات مُنقذة للبشر من أخطار البحر حيث أنقذت بعض الآلهة والأبطال ونقلتهم نحو الشواطئ، فكان هذا الحوت خير رفيق ودليل للبحارة إذ يرشدهم في الطرق الصعبة وكان ظهوره أمامه بمثابة فأل خير لهم. ولهذا برز موضوع الدلفين على الكثير من المشاهد الجنائزية الفينيقية والبونية، فاعتبروها حيوانات مُنقذة حقيقية لأرواح الموتى، إذ تُصاحبهم في عبور المحيط الأعلى من أجل أن يرشدهم إلى مكان حسن، وهذا ما تُؤكّده الكثير من البقايا المادية[27]، نذكر منها صورة لدلفينين تزيّنان تابوتا فينيقيا مصنوعا من الرصاص عُثر عليه في مدينة صيدا، وهذا يدلّ على أنّ الدلفين كان بمثابة تميمة أو طلسم يحمي الميّت، وقد جاء في أحد نصوص مدينة أوغاريت (على الساحل السوري) أنّ "البعض يتجسّد في روح الدلافين في البحر"، معتقدين أنّ لهذا الحيوان البحري دلالة تعويذية ووقائية تمنع الأرواح الشريرة من التسلّل للبيوت والأضرحة والقبور[28].

وقد ارتبط الدلفين ببعض الكائنات الخرافية ذات الأصول الإغريقية مثل بيتو المُجنّح (Putto)[29] وسقولة (Scylla)[30] اللذان تبناهما البونيون، حيث عُثر على صورة دلفينين يسبحان بالقرب من هذا

---

[24] كثيرا ما كانت لشفرات الحلاقة علاقة بالعبادة والطقوس الدينية متينة، فلا ننسى أنّها عُثر عليها داخل القبور والأضرحة وثبت أنّها كانت تُوضع قرب رأس الميّت رجلا كان أو امرأة أو طفلا، فمن الممكن أنّها كانت تُستخدم في طهارة الموتى، حيث هناك نصوص بونية تشير إلى وجود حلّاقين من بين سدنة المعبد في قرطاج، ومن المُمكن أن تكون مخصّصة لتقديم هبة الشعر، وهي طقس معروف لدى الفينيقيين ولدى العديد من الشعوب السامية الأخرى، فبالشفرة البونية يُمكن قصّ سبيبة من الشعر الذي أرادها هبة للآلهة، وقد يُشرف على هذه الشعيرة مختصّون من سدنة المعبد، للمزيد انظر: فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص202.

[25] Zeghal Yazidi (S.), op.cit,p430.

[26] Pline l'Ancien, op.cit, pp126-128.

[27] Zeghal Yazidi (S.), op.cit, pp435-437.

[28] Fantar (M-H.), op.cit, pp64-65.

[29] بيتو (Putto) في الميثولوجيا الإغريقية هو طفل أو ملاك صغير أو الطفل العاشق أو المحبوب الصغير، للمزيد انظر: المقداد خليل، الفسيفساء السورية والمعتقدات الدينية القديمة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص321.

[30] **الوحش سقولة** (Scylla) هو وحش بحري خرافي مرعب في طلّة امرأة، لها ست رقاب وست رؤوس مخيفة كل واحد من أفواهها مسلّح بثلاثة صفوف أسنان ضخمة، وتقوم هذه المخلوقات الخرافية بافتراس كلّ من يمرّ بالقرب منها، وجاء في الأساطير الإغريقية

الوحش الأخير تُزيّن غطاء تابوت كبير من المرمر عُثر عليه داخل قبر بوني، كما ارتبط الدلفين كذلك بحصان البحر **(انظر الشكل4)**[31]، فحضوره رفقة الموتى يُؤكّد على دلالاته الجنائزية، ومن هنا لا نستغرب أن يكون الدلفين من أهمّ الحيوانات البحرية التي ترمز لعبور الأرواح للمحيط الأعلى قبل الوصول إلى دار الخلود وتحقيق السعادة الأبدية، وبالتالي هو شعار للسلام الذي يرجوه الميت[32].

الشكل (75): دلفين وحصان البحر على قرص تمودا
Fantar (M-H.), op.cit, p69.

ويُزوّدنا معبد سلامبو في السنوات الأخيرة من حياة قرطاج البونية بألواح طينية، منها واحدة تُصوّر امرأة جالسة فوق دلفين، ولوحة أخرى مشابهة للأولى تتمثّل في امرأة جالسة على حصان بحر، ويُعتقد أنّ هذين النذرين مُكرّسين للربة تانيت السّاهرة على سلامة الموتى، وعلى عبور الروح إلى العالم الآخر[33]. كما عُثر على عدّة تمائم وتماثيل في قبور بونية، منها أسكوس[34] في شكل دلفين عُثر عليه بمقبرة بونية قرب المسرح الروماني بقرطاج يُؤرّخ بالقرن الرابع قبل الميلاد.[35]

أنّها تقيم في مضيق مسينة بجزيرة صقلية، كانت له دلالات مُرتبطة برحلة الروح نحو العالم الآخر لدى العديد من الشعوب القديمة كالإغريق والأتروسكيين والرومان والفينيقيين والبونيين، وقد اقتبسها هؤلاء الأخيرين من الميثولوجيا الإغريقية وكان له حضورا لافتا للانتباه في الفن الجنائزي البوني. للمزيد انظر:

- Ferdi (S.), op.cit, p19.

[31] Zeghal Yazidi (S.), op.cit, pp435-437.
[32] Redissi (T.), op.cit, p136.
[33] Zeghal Yazidi (S.), op.cit, p438.
[34] **أسكوس** أو **أسقوس** (Askos) هي كلمة ذات أصل إغريقي لها معنى الكيس أو الزق، ويقصد به أواني لها شكل أحد حيوانات كالأسود والكباش والثيران والدواجن وبعض الطيور كالحمام والكناري، للمزيد انظر: فنطر محمد حسين، المرجع السابق، ص294.
[35] Fantar (M-H.), op.cit, p64-65.

ويُعتقد أنّ الدّلافين المنقوشة على أحد الجعارين[36] وهي تقفز وتُحيط بمرساة لا تشير للمحيط الأعلى فقط، بل ترمز أيضا لأمل إرساء ووصول السفن إلى المكان المحدّد بسلام، ونشير أيضا إلى ذلك النصب المشهور باسم "نصب الكاهن"، الذي عُثر عليه بتوفاة قرطاج ويُؤرّخ بالقرن الرابع قبل الميلاد، ويتمثّل في كاهن يحمل ما بين ذراعيه طفلا وفي الأعلى نرى صورة دلفينين، وبجانبهما نرى زهرة يحيط بها هلال في أعلى النصب، فتواجد هذه الدلافين والرموز الفلكية من المحتمل أنّها ترمز للعالم السماوي وتُشخّص رحلة الروح نحو العالم الآخر، كما أُستعمل الدّلفين كمطيّة لتنقّل بعض المعبودات البحرية على غرار التروتينات (tritones)[37]، للدلالة لرحلة أرواح الموتى نحو العالم الآخر.[38]

وحينما تظهر صورة الدلفين مع علامة تانيت أو ورقة اللبلاب[39] فإنّه يكون بمثابة المرشد للأرواح أو رمزا للسلام، لأنّ علامة تانيت تتعلّق دون شك بمفهوم الحياة والخصوبة، أمّا ورقة اللبلاب فتُعتبر شعارا فلاحيا مُرتبطا بالمطر وتجدّد الطبيعة، وكانت كذلك بمثابة طلسم مُحيي على غرار جميع النباتات الدائمة الاخضرار ورمزا للبقاء والخلود في العالم الآخر، ونشير هنا إلى أنّ هذه الرمزية الأخيرة ذات أصول هلينيستية بحتة، فورقة اللبلاب دائما ما تكون مرتبطة بالإله الإغريقي ديونيسوس، وتذكر الأساطير في هذا المضمار أنّ هذا الإله هو المُنقذ الذي يُنقذ البحّارة من أيدي القراصنة الذين يختطفونهم وينقلهم على ظهر الدلافين، ومن هنا كانت هذه الحيوانات في الميثولوجيا الإغريقية والبونية رمزا للتجدّد والبعث والسلام[40].

---

[36] أخذ البونيون من مصر الفرعونية استعمال أختام في شكل جعل (جعران)، وهذا الأخير هو حشرة من فصيلة الخنافس، وكان يتخذون من شكلها كحلي من خواتم و عقود يتزينون بها، معتقدين أن لها دلالات دينية وسحرية تحميهم وتدفع عنهم الأذى وتجلب لهم الحظ السعيد، وقد كانت تُستورد هذه الحلي في القرون الأولى من تأسيس قرطاج من مصر مباشرة أو عبر فينيقيا، لكن فيما بعد صارت تُصنع في المدن البونية. للمزيد انظر: محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص ص235-240.

[37] **تريتون** (Triton) هو اله إغريقي عبده البحارة، وهو ثمرة تزاوج حورية البحر **انفتريت** بالإله **بوزيدون** إله مياه كل المحيطات، يبرز في عدة مظاهر لكن عموما يصور بنصف علوي لرجل ونصف سفلي حيواني بذيلي سمكتين كبيرين، له شكل مخيف وخير في نفس الوقت، وأحيانا يصور وهو ينفخ في صدفة ضخمة، قدّسه البحّارة كإله يُهدّئ من حدّة الأمواج الهائجة وكواسطة بينهم وبين الإله بوزيدون. للمزيد انظر:

- Schmidt (J.), op.cit. p196.

[38] Zeghal Yazidi (S.), op.cit, pp435-448.

[39] أوراق اللبلاب (lierre) هي أوراق قلبية الشكل ومرتبطة بفكرة الخلود والبقاء والحياة الأخرى، ولهذا نجدها تزين الكثير من التوابيت، ونجدها على الكثير من الأنصاب في أعلاها أو وسطها، كما أن لها دلالة الانتصار على الموت وحتى يضمن الموتى البقاء السعيد. للمزيد انظر:

Hours-Miédan (M.), (1953), Les représentations figurées sur les stèles de Carthage, Cahiers de Byrsa, Paris, p47-48.

[40] Zeghal Yazidi (S.), op.cit, p441-442.

ومن خلال الاطّلاع على عدّة أنصاب ونقوش بونية وبونية حديثة، نلاحظ أنّ الدّلفين غالبا ما كان يُصوّر في وسط أو أسفل النصب، ونادرا ما يحتّل هذا الحوت القمّة أو القسم العلوي للنصب النذري، ومن جهة أخرى كثيرا ما يُصوّر الدلفين رفقة بعض الرموز الأخرى كالصولجان، أو علامة اليد المرفوعة نحو الأعلى[41]، فحضور تلك الرموز رفقة الدلفين على الأنصاب البونية يشير لدلالاتها الجنائزية والأخروية، من خلال عبور أرواح الموتى هذا الوسط المائي[42].

كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الدلفين كان ضمن السجل الإيكونوغرافي لدى الفنّانين الأفارقة خلال الفترة اللاحقة لسقوط مدينة قرطاج لكنّها مُستوحاة من الفن الجنائزي البوني، حيث كثيرا ما نراها تُصوّر على الأنصاب وحيدة أو تمتطيها جنّيات صغيرة ومُجنّحة، بل تعتبر امتدادا له، مثلما هو الحال مع أنصاب مكثر وسيدي بورويس، وعين بربوش الذي يُصوّر دلفينا يمتطيه شخص صغير الحجم، ومن المحتمل أنّه يُمثّل روح المتوفّى وهي ترتفع عاليا لتجتاز مختلف المناطق الجوية من أجل الظّفر بجسد صاحبها[43].

4.الخاتمة:

ومن هنا نستخلص أنّ الحيوانات البحرية وبصفة خاصّة الدلفين كان له حضورا هاما في الرمزية الدينية والجنائزية، وبصفة خاصّة لدى الشعوب المتوسطية ومنهم البونيين والأفارقة، وهذا لتعاملهم مع عالم البحر وأهواله وكذلك لفوائده الغذائية فكان رمزا للثروة والخصوبة، وانتقلوا به من العالم الواقعي إلى العالم الخيالي، معتقدين أنّه بواسطة هذا الحيوان يُمكن للموتى أو بالأحرى أرواحهم أن تعبر بسلام نحو العالم الآخر وتحقّق الخلود المنشود من خلال عبور المياه التي أطلقوا عليها "المحيط الأعلى".

كما ارتبط بكثير من الآلهة كأبولون وبوزيدون لدى الإغريق، وبعل حمون وتانيت وعشتارت لدى الفينيقيين والبونيين، كما ارتبط ببعض الكائنات الخرافية كسقولا وحصان البحر والتروتينات وبيتو وعروس البحر... لكن أصولها يعود أغلبها للثقافة الهيلينستية التي نفذت للعالم البوني بفعل الاحتكاكات الحربية والتفاعلات الحضارية، ولهذا برزت صوره على جدران القبور والتوابيت، وعلى مختلف اللقى المادية

---

[41] حاول الكثير تفسير علامة رفع اليد نحو الأعلى والتي غالبا ما تكون اليد اليمنى هي المرفوعة، وقد انتشرت على عدّة أنصاب في العالم السامي، فاعتقد البعض أنّ تلك الحركة تتعلق بالصلاة والبعض الآخر رأى فيها إشارة للعبادة والبعض اعتقد أنّها حركة أداء يمين العبادة من الكاهن أو صاحب القربان نحو الإله، للمزيد انظر:

- Benichou Safar (H.), le geste dit « de l'orant » sur les stèles puniques de Carthage, Actas del 3 semnario international sobre Temas Fenicios, Alicante, pp 99-116.

[42] Zeghal Yazidi (S.), op.cit, p440.

[43] Fantar (M-H.), op.cit, pp64-65 ; Picard (G-Ch.), op.cit, p146.

كالجعارين والحلي وشفرات الحلاقة والتمائم لتجلب الحظ السعيد وتبعد الأرواح الشريرة، وقد ازدهرت هذه المعتقدات المتعلقة بالدلفين في المغرب خلال العصر الروماني، خاصة على لوحات الفسيفساء. ونشير في الأخير لحضور الدلفين في التراث الشعبي لحد الآن في بعض المناطق الساحلية المغاربية خاصة في تونس، ولا شك في امتدادها للعصور القديمة.

قائمة المصادر والمراجع:

- جيني مارك، (2018)، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، ج1، ط1، ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- سيرنج فيليب، (1992)، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة:عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق.
- محمد حسين فنطر، (1999)، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي، تونس.
- المقداد خليل، (2008)، الفسيفساء السورية والمعتقدات الدينية القديمة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- Alexandropoulos (J.), (2007), Les Monnaies de l'Afrique antique (400 av. J.-C.-40 ap. J.-C.), Toulouse, Presses Universitaires du Mirail.
- Ayoub (A.), (2003), signes symboles en Tunisie, Agence de mise en valeur du patrimoine et de promotion culturelle, Tunis.
- Ferdi (S.), Mosaïques des eaux en Algérie, Régie sud Méditerranée, Alger, S.D.
-Leglay (M.), (1966), Saturne africain, tome I, Boccard, Paris.
- Picard (G-Ch.), (1954), les religions de l'Afrique Antique, libraire Plon, Paris.
- Schmidt (J.), (2001), Larousse, Dictionnaire de la Mythologie grecque et romaine, éditions France Loisirs, Paris.
- Pline l'Ancien, (1999), histoire naturelle, éditions et choix d'Hubert Zehnacker, collection folio classique, Gallimard, paris.

المقالات باللغة العربية:

- قنينبة زهراء، (2009)، الماء من خلال مصادر المغرب القديم الأثرية، مجلة البادية المغربية، عدد3، السنة الثالثة، الرباط، ص21-37.

المقالات باللغة الفرنسية:

- Bejaoui (F.), (1997), Les néréides sur une mosaïque tardive de la région de Sidi Ali Ben Aoun, Africa XV, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, 1997, p43-52.

- Benichou Safar (H.), le geste dit « de l'orant » sur les stèles puniques de Carthage, Actas del 3 semnario international sobre Temas Fenicios, Alicante, p 99-116.

- Fantar (M-H.), (1969 – 1970), la mer dans la mythologie et l'iconographie des phéniciens-puniques, Tomes III et IV, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, p pp51-82.

- Ferjaoui (A.), (1988), les stèles puniques de Constantine, REPPAL, IV, p287-293.

- Hours-Miédan (M.), (1953), Les représentations figurées sur les stèles de Carthage, Cahiers de Byrsa, Paris, p11-160.

- Redissi (T.), (1990), les amulettes de Carthage représentant les divinités léontocéphales et lions, REPPAL, 5, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, p165-184.

الأطروحات باللغة الفرنسية:

- Zeghal Yazidi (S.), le bestiaire dans l'imaginaire des puniques, Thèse de Doctorat, volume 2, université de Tunis, Année universitaire 2005 -2006.